التعليق على

القصيدة الهائية في الزهد والترغيب والترهيب

للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي

رحمه

لفضيلة الشيخ

عيسى العازمي

- حفظه -

الحمد لله، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فهذا تعليقٌ على قصيدة الهائية للشيخ العالم حافظ حكمي رحمه الله تعالى، وفي هذه القصيدة يتكلم المؤلف رحمه الله عن حقيقة الدنيا والزهد فيها، وأن هذه الدنيا لا ينبغي للإنسان أن يتخذها وطنًا وذكر حال الإنسان في هذه الدنيا ويحث على الزهد ويرغب فيه .

قال الناظم رحمه الله:

مـــا لي وللـــدنيا وليســـت ببغيتـــي ولا منتهى قصـدي ولسـتُ أنـا لهـا

(الشرح)

يقول الناظم رحمه الله: **ما لي وللدنيا**؛ يعني هذه الدنيا ليست هي مطلبي، والدنيا سُميت بذلك لأنها دنية، فالدنيا ليست مطلب قصدًا بمعنى أنها ليست هي التي تُقصد لذاتها، وإنما هي طريق إلى الآخرة، ولذلك الدنيا ممر للآخرة وطريق إلى الآخرة كالجسر الذي يسير فيه الإنسان إلى الآخرة، فهي وسيلة إلى الوصول إلى الآخرة، كما أن السفينة وسيلة توصل الإنسان إلى المكان الآخر كذلك هذه الدنيا فهي طريق إلى الآخرة، لأن الآخرة هي دار الحياة الحقيقية، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت: ٦٤]. والدنيا إنما هي أيام وليالي تنقضي وتذهب كأنها حلم ليل، فلا ينبغي للإنسان أن يتخذ هذه الدنيا وطن.

ولا يعني هذا أن الإنسان يترك الدنيا بمعنى أنه يترك العمل فيها ويكون عالة على الناس أو أن الإنسان يبقى مثلًا في جبل ولا يخرج إلى الناس ولا يأكل ولا يشرب حتى يموت، ليس هذا المقصود؛ وإنما المقصود أن يعمل الإنسان للآخرة ويكدح في الدنيا ويعمل فيها، ويكتسب من المال الحلال، ولكن لا تكون الدنيا في قلبه، فلا يلهث في هذه الدنيا لها، بمعنى أنه لا يتعبده الدينار والدرهم كما قال عليه الصلاة والسلام: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم**»؛ يعني لا يكون الدينار والدرهم هو الذي يتعبد له يعني يغضب إذا فقده ويرضى إذا وجده، وإنما يكتسب ويكن من أفضل الناس في المال ونحو

ذلك، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «نعم المال الصالح للعبد الصالح»، ولذلك كثير من الصحابة كانوا تجار؛ فأبو بكر كان تاجرًا، وعثمان كان من تجار الصحابة وغيرهم، وعبد الرحمن بن عوف، مع أن هؤلاء الثلاثة من العشرة المبشرين بالجنة، وأبو بكر أفضل الصحابة وكان تاجر رضي الله عنه، وعثمان رضي الله عنه كان تاجر وكان عنده مال كثير، لذلك اشترى بئر للمسلمين وأوقفها لله، واشترى قافلة قد دخلت المدينة بمالٍ كثير وجهز جيش العسرة وكان جيش كبير، وأبو بكر كان يشتري العبيد ويعتقهم لله، فالمال إذا كان في يد العبد الصالح وكان لا يتعبده هذا المال فهذا هو الحسن، ولذلك سعد رضي الله عنه لما كان في مرض وخاف أن يموت فيه قال: يا رسول الله، إني ذو مالٍ كثير ولا يرثني إلا ابنة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا.

فالمراد أن الإنسان لا يكون قصده الدنيا، وإنما يكتسب المال الحلال في الدنيا ويكون همه الآخرة، فينفق في سبيل الله ويتصدق ويزكي ونحو ذلك.

قال: **وليست ببغيتي**؛ يعني ليست هذه الدنيا مطلبي ولا ينبغي للمسلم أن يطلب هذه الدنيا، يعني لا يقدم الدنيا على الآخرة، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم كما عند الترمذي قال: «ما لي ولهذه الدنيا، إنما أنا كراحل استظل بظل شجرة فراح وتركها»، وهكذا الدنيا.

قال: **ولا منتهى قصدي ولست أنا لها**؛ يعني لا ينتهي قصدي عند الدنيا، يعني لا يكون قصدي الحياة الدنيا وأنسى الآخرة كأني لن أموت وأُبعث.

قوله: ولستُ أنا لها؛ هذا له واحد من تفسيرين:

إما أن يُراد أن الإنسان لم يُخلق ليعيش ويموت وهذا حق، ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، قال الشافعي

رضي الله عنه ورحمه : **"يعني لا حساب ولا عذاب"**، فمعنى الآية أن الإنسان لا يظن أنه خُلق ليأكل ويشرب ويتمتع ثم يموت ولا حساب ولا عقاب، بل إنه سيُحاسب.

التفسير الثاني: لست لها يعني لا أميل إلى الدنيا ولا تهمني، بل إني أعمل فيها وأكتسب المال الحلال ولا تكن الدنيا همي.

فيقول الناظم في هذا البيت أن هذه الدنيا لا ينبغي أن تكون قصد الإنسان، فالضابط في ذلك أن الإنسان يعمل في الدنيا ولا ينسى الآخرة، فيكدح في الدنيا ويكتسب المال الحلال، وكما قال عليه الصلاة والسلام: «نعم المال الصالح للعبد الصالح»، ويعمل للآخرة وتكون هي همه كما كان الصحابة رضي الله عنهم يكتسبون ويخرجون للتجارة ويكسبون المال الحلال، وينظرون إلى الآخرة.

قال رحمه الله:

ولستُ بميالٍ إليها ولا إلى رئاستها، نتنًا وقبحًا لحالها

(الشرح)

لستُ: نفي. بمائل إليها: يعني بمنعطف على الدنيا، كأن الإنسان يسير في طريق فلا يميل إلى الدنيا، بل يستقيم على الطريق ويسير إلى الدار الآخرة.

ولا إلى رئاستها: يعني إلى الترأس فيها، وأخذ المناصب والإمارة ونحو ذلك، يعني لا أريد هذه الدنيا ولا الترأس فيها، ولا أن أكون فيها ذو رئاسة ونحو ذلك. نتنًا لهذه الدنيا، وقبحًا لمن يطلبها.

والدنيا ليست مذمومة لذاتها، فالدنيا خلق من خلق الله سبحانه وتعالى، وإنما المذموم هو فعل بعض الناس فيها، لأنهم يفعلون في هذه الدنيا كأنهم لا يموتون، **والرئاسة لا يخلو فيها الإنسان من حالتين:**

الحالة الأولى: أن تأتيه من غير طلب وقد يكون كاره لها، فهذا حسن، وإذا اتقى الله في ذلك وعمل بطاعة الله فإنه قد يكون في درجات عالية، ولذلك من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل؛ يعني حاكم حكم وعدل في خلق الله فيكون في ظل عرش الرحمن سبحانه وتعالى، وأيضًا الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي تولوا إمارة المسلمين، تولوا الخلافة على المسلمين وكانوا أمراء للمؤمنين، ومع ذلك هم أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الأمة.

الحالة الثانية: أن يكون الإنسان طالب للإمارة ويبحث عنها كالقضاة ومناصب الحكم، فيطلبها ويبحث عنها ويقاتل لها، ويكون همه هي، فهذا لا ينبغي ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة: **«يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تطلب الإمارة، فإنك إن أُعطيتها عن مسألةٍ وُكلت إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها»**، فإذا وُكل الإنسان لنفسه فإنه يضيع ويهلك ولكن إذا أعانه الله سبحانه وتعالى فإنه يفوز بالمقصد العظيم.

فيكون الإنسان غير طالب للإمارة ولا الرئاسة، ولذلك كان السلف يحتاطون من الحكم بين الناس ولا يريدونها، وكان بعضهم إذا طلبه الحاكم لينصبه قاضي هرب واختفى حتى لا يكون قاضي على الناس ويخاف من الرئاسة، ولكن إذا جاءته من غير طلب فإن الله سبحانه وتعالى يعينه، وقد جاء في الأثر أن الله عز وجل ينزل إليه ملك فيعينه على ما كُلف.

قال: (رئاستها، نتنًا وقبحًا لحالها)؛ يعني لحال الدنيا، وذلك أن حال الدنيا إلى انتهاء، فالإنسان إذا كان شباب سيصل إلى الشيخوخة وينحني ظهره ويضعف بصره وسمعه، ويكون طريح الفراش؛ هذا من حيث البدن. وأيضًا من حيث المال فالمال سيذهب ويكون للورثة، ولذلك إذا مات الإنسان ووُضع في قبره ودُفن تقاطع الورثة الميراث ونسوا هذا الميت إلا من رحم الله عز وجل، ويعيش الإنسان في هذه الدنيا ويترك هذا الميت الذي كدح وتعب في جمع هذا المال، وأيضًا في الأصحاب والأصدقاء فالإنسان

يعيش بين أصحابه وأصدقائه ثم يموت هذا ويموت الآخر ثم يتفرقون، ثم يذهب هذا في الدنيا ثم يكون وحيدًا، هكذا الدنيا، فهذا حال الدنيا، ولذلك يقول القائل أن الدنيا إذا أضحكت يوم أبكت أيام، فالإنسان في يوم سعيد وفي اليوم الآخر حزين، وهكذا، وأيضًا الصحة فالإنسان يعيش في صحة في البدن وبصره حسن وقوة في الجسد ثم يضعف ويصاب بأمراض فيكون طريح الفراش ولا يتحرك، هكذا حال الدنيا، فالإنسان لا يركن لهذه الدنيا، وإنما يسعى إلى الآخرة التي فيها اللذات التي لا تنقطع وفيها الحياة التي لا موت بعدها وفيها النعيم الذي لا يوصف ولا ينقطع، بل إنه يزيد يومًا بعد يوم.

قال رحمه الله:

هـي الـدار دار الهـم والغـم والعنـا سريـعٌ تقضـيها قريـبٌ زوالهـا

(الشرح)

في هذا البيت يصف الناظم رحمه الله هذه الدنيا، فقال: **هي الدار دار الهم**؛ أي أن هذه الدنيا دار الهم فإنها طُبعت على الهم، والهم: هو ما يقع في القلب من أمرٍ مستقبل فيهم الإنسان ويقع في قلبه هم لهذا الشي.كيف يصنع وكيف يفعل، فهذه الدنيا طُبعت على هذا الشيء، فلا بد أن يهتم الإنسان إما لرزقه وإما لانتقال من مكان إلى مكان وإما لخوف على ولد أو لتحقيق أمر الدنيا ونحو ذلك، فهي دار الهم.

قال: **والغم**؛ أيضًا هي دار الغم، والغم هو ما يغطي القلب ويثقله، فيغتم الإنسان، ومنه الغيم لأنه يغطي ما تحته.

والعنا؛ أيضًا هي دار العناء، والعناء هو الكدح والتعب في هذه الدنيا، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى لآدم وحواء: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧]؛ قال المفسرون: أنه الكدح وخروج العرق بخروج الإنسان لطلب الرزق ونحو ذلك. فالإنسان في هذه الدنيا يكدح ويتعب لكسب الرزق، فهي دار العنا، فيتعب الإنسان في كسب رزقه

أو لتحصيل أمر دنيوي، ولذلك الإنسان لا بد أن يأخذ بهذه الأسباب في هذه الدنيا، فهي دار العنا، فلا بد أن يتعب فيها.

قال: (سريعٌ تقضيها قريبٌ زوالها)؛ يعني هذه الدنيا سريعة، إنما هي أيام وليالي تذهب كأن لم تكن، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «أعمار أمتي بين الستين إلى السبعين»، فهي سريعة وتذهب كأن لم تكن، وقد وصف الله حال الناس في الآخرة: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ *﴾[المؤمنون: ١١٢ - ١١٣]؛ (كم لبثتم في الأرض) قال المفسرون: يعني في الدنيا وفي البرزخ، فظنوا أنه قليل لأن هذه الدنيا سريعة الانقضاء والذهاب. و أحد السلف كان يخطب فكان يقول: إن الآخرة أقبلت وإن الدنيا قد أدبرت، فإن الدنيا سريعة الانقضاء، والله سبحانه وتعالى أخبر أن الدنيا سريعة الانقضاء وأن الآخرة هي دار القرار.

قريبٌ زوالها؛ أي أنها ستزول ويزول من فيها، فالزوال هو الذهاب؛ وذلك أن الله سبحانه وتعالى قدر لهذه الدنيا وقت تنقضي فيه وتذهب كأن لم تكن، فهذه الدنيا ليست بدار خلود، وإنما لها وقت تنتهي فيه، وقد وصف الله تعالى الدنيا كماءٍ أُنزل من السماء فأنبتت الأرض فلما اخضرت الأرض وأصبح الناس يرون الخضرة وظنوا أنهم قد فازوا بهذه الخضرة نزل عليها أمر من السماء فأصبحت رماد متهشم بالي، ثم هبت عليها الرياح فذهبت، هكذا الدنيا، فهي سريعٌ زوالها، والله سبحانه وتعالى قال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾[الحديد: ٢٠]؛ هكذا الدنيا تذهب كأن لم تكن، فوصف الناظم رحمه الله حال هذه الدنيا.

قال رحمه الله:

مياسرهـا عسرٌ ـ وحـزنٌ سرورهـا وأرباحهـا خسرٌ ـ ونقـصٌ كمالهـا

(الشرح)

مياسرها: يعني ما يسر الإنسان ويفرح به في الدنيا هو عسر، فيه نوع من العسر، ولذلك الإنسان إذا وجد في الدنيا ما يسره سيجد في الجانب الآخر ما يقلقه ويعسر عليه، فمثلًا الطعام إذا وجده الإنسان وهو طيب فهو يأكل ولكنه يصبح عليه عسر من وجه آخر، فيخاف أن يمرض بسبب هذا الطعام، أو يصاب بالتخمة أو يتعسر عليه الهضم أو نحو ذلك، فهو عنده يسر في البداية لكنه له عسر، وأيضًا إذا وجد الزوجة الحسناء فقد تكون سليطة اللسان أو متشائمة أو نحو ذلك، ففيها يسر وعسر من جانب آخر، وأيضًا إذا وجد الإنسان له صاحب فقد يكون هذا الصاحب فيه قلق أو يذكر له ما يسوء، فهذه الدنيا فيها مياسر وفيها معاسر، وإذا نُصب الإنسان في منصب أتاه العسر من جانب آخر فتكالب عليه الناس وأقلقوه، فمياسرها عسر.

قال: **وحزن سرورها**؛ والحزن هو ما يكون على أمرٍ ماضي، فيحزن الإنسان على الكسب في هذه الدنيا، فإذا كسب مال خاف أن يذهب، وإذا رُزق بولد خاف أن يموت أو خاف أن يضل، وإذا رُزق ببيت فرح به خاف أن ينهدم وخاف أن يُخرج منه.

قال: **وأرباحها خسر**؛ أرباحها يعني ما يربح في الدنيا، فإذا ربح فيها فإنه قد يخسر من وجه آخر، فإذا ربح المال قد يخسر في دينه.

قال: **ونقصٌ كمالها**؛ إذا كمل الإنسان في الدنيا نقص من وجه آخر، فقد يكمل من وجه وينقص من وجه آخر، فيكون مثلًا له جاه في هذه الدنيا ولكن يكثر عليه الحساد والواقعون في عرضه ونحو ذلك، فهي كمالٌ ونقصان من وجه آخر، فوصف الناظم رحمه الله حال الدنيا في هذين البيتين.

قال رحمه الله:

إن أضحكت أبكت وإن رامَ وصلها ... غبيٌّ فيا سرع انقطاع وصالها

(الشرح)

حال الدنيا هو مبني على هذا إذا أضحكت يومًا ففي اليوم الآخر يبكي الإنسان، وهذا حال الإنسان في هذه الحياة فإنه اليوم يضحك بسبب سرور حصل له وتجد أنه غدًا يبكي بسبب مصيبة حصلت له، هكذا الدنيا، و هذا خلاف الجنة فالجنة فيها ضحك إلى ما لا نهاية، ولا حزن فيها ولا بكاء فيها أبدًا، ودار العذاب النار بكاءٌ دائم لا ضحك فيها أبدًا، وأما الدنيا ففيها الضحك وفيها البكاء وفيها الحزن وفيها السرور.

قال: (وإن رام وصلها)؛ يعني وإن أحب الإنسان أن يصل هذه الدنيا، فالإنسان قد يحب هذه الدنيا ويحب أن يبقى فيها ولكن هذه حالها ليتحمل هذا الألم وليتحمل هذا الواقع، فهو إن أحب الدنيا فليتحمل الضحك أحيانًا والبكاء أحيانًا أخرى، لأن هذا حال الدنيا.

قال: (فيا سرع انقطاع وصالها)؛ أي أن انقطاع وصل هذه الدنيا سريع، فمجرد أن الإنسان يموت فهو يخرج من هذه الدنيا، وينتقل إلى الدار الآخرة، فالإنسان قد يحب الدنيا ويعمل فيها ويكدح ولكنه في يوم من الأيام يموت ثم يخرج من هذه الدنيا وينقطع عنها، فسريع انقطاع الدنيا فهي الصلة التي لا تبقى، لذلك هذه الدنيا وصلها لا يبقى، بل مجرد أن الإنسان يموت يخرج منها، وسريع انقطاعها، لأن الإنسان لا يبقى كثيرًا في هذه الدنيا.

قال رحمه الله:

فأســـأل ربي أن يحـــول بحولـــه وقوتـــه بينـــي وبـــين اغتيالهـــا

(الشرح)

ثم التجأ المؤلف رحمه الله إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا الذي ينبغي للعبد أن يكون حاله أن يلتجئ إلى الله تعالى أن يعصمه من الفتن الظاهرة والباطنة من الشهوات والشبهات، ويسأل الله دائمًا ألا تفتنه الدنيا، وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ من أربع ومنها أنه يقول : **"أعوذ بك من فتنة المحيا والممات"**، ويدخل في هذا فتنة الدنيا، وقال في صحيح مسلم: **«استعيذوا بالله من**

أربع: من فتنة الدنيا، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال، ومن عذاب القبر وعذاب النار»؛ فذكر منها فتنة المحيا والممات، فالإنسان يستعيذ بالله عز وجل من فتنة الدنيا ألا تفتنه.

قال: فأسأل ربي أن يحول بحوله يعني بقوته سبحانه وتعالى أن يحول يعني أن يبعدني عن هذه الدنيا ويحجزني عنها.

قال: (بيني وبين اغتيالها)؛ يعني بيني وبين اغتيال هذه الدنيا، والاغتيال هو الأخذ على غفلة، وذلك أن القاتل يقتل الإنسان على غفلة لا يعلم عنه ثم يأخذه وهو لا يدري، هكذا يقول المؤلف: لا تأخذني الدنيا على غفلة، فيغفل الإنسان ثم يزل وهو لا يدري، فيسأل الله أن يحفظه من هذه الدنيا، وقد جاء في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«اتقوا الدنيا»**، والتقوى هي أن تجعل بينك وبين الشيء وقاية، فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر باتقاء الدنيا، لأن الدنيا مزخرفة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، فالدنيا يكون فيها زخرف وجمال ورونق، ولكن الإنسان لا يغفل عن الآخرة، فيحذر من هذه الدنيا لا تغتاله ويقع بسببها في المعاصي والذنوب.

والمراد أن الإنسان لا يركن لهذه الدنيا، وإنما يجعل هذه الدنيا دار ممر لا مقر، بمعنى أنه يعيش فيها على أنه سينتقل منها، ولا يظن أنه سيبقى فيها إلى ما لا نهاية.

قال رحمه الله:

فيا طالب الدنيا الدنية جاهدًا ... ألا اطلب سواها إنها لا وفا لها

(الشرح)

ثم قال: فيا طالب الدنيا يعني يا أيها الذي يسعى ويكدح في هذه الدنيا يريد الدنيا يعني لا يريد إلا الدنيا، الدنية يعني دنية القدر، وهذه الدنيا دنية، ولذلك جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماء»، فالدنيا ليست بشيء فهي دنية، لأن هذه الدنيا دار الابتلاء ودار الزراعة للآخرة.

قال: جاهدًا؛ والجهد هو أن يبذل المشقة في طلب الشيء، يعني يا من يجهد ويتعب نفسه في طلب الدنيا، قال: ألا طلبت؛ وألا أداة استفتاح، (طلبت) يعني هلا كان طلبك لهذا سواها، وسواها هي الجنة، وهذا الذي ينبغي للمسلم أن يطلبه، لأنها دار النعيم الذي لا يوصف ودار اللذات التي لا تنقطع ودار الفرح الذي لا يزول ودار الحياة التي لا موت فيها، وأما هذه الدنيا فهي دار منغصات، فيها من النقائص الشيء الكثير.

قال: إنها لا وفاء لها؛ يعني هذه الدنيا لا وفاء لها، وذلك أن الإنسان قد يعمل فيها ويكدح ثم يظن أنه فاز بها ثم ما يدري إلا والموت أمامه أو أن هذا المال يذهب أو أن هذا الذي تسبب في السعي في جمعه انتهى بسبب أمر يقع عليه، فالإنسان لا يظن أنه إذا جمع الشيء في هذه الدنيا أنه سيبقى فقد يموت ويترك هذا المال، وقد يصاب هذا المال بجائحة تجتاحه ويذهب، ولذلك يقول: فإنه لا وفاء لها.

قال رحمه الله:

فكم قد رأينا من حريصٍ ومشفقٍ عليها فلم يظفر بها أن ينالها

(الشرح)

يقول: كم رأينا في هذه الدنيا من حريص عليها ولا يريد شيء إلا هذه الدنيا، والحريص هو الذي يطلب الشيء بلهفة عليه، ويريد أن يحصل عليه بكافة الوسائل.

والمشفق: الخائف أن يضيع منه هذا الشيء.

عليها: على الدنيا.

لم يظفر بها: الظفر هو الفوز بالشيء، يعني أنه شق على نفسه وحرص أشد الحرص ولكنه لم يظفر بها.

أن ينالها: يعني ما نال منها شيء إلا ما قُدر له، والإنسان مهما حرص على الدنيا ومهما كدح فيها فلن يحصل له إلا ما قُدر له، وهذا لا يعني أن الإنسان يترك العمل في الدنيا فهذا ليس مطلوب، بل يتأكد على الإنسان العمل في الدنيا، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «نعم المال الصالح للعبد الصالح»، وقال سبحانه وتعالى: ﴿سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] يعني: يخرجون للتجارة ويعملون، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، ابتغوا من فضل الله يعني اعملوا واطلبوا من رزق الله سبحانه وتعالى، فالإنسان عليه أن يعمل ويكدح ويطلب الرزق ويعمل بالعمل الطيب، وهذا مطلوب، بل قد يؤجر الإنسان على ذلك إذا أراد النية الطيبة، ولكن لا يجعل هذه الدنيا هي المطلوبة، فإذا ورد عليه محرم في تجارة مثلًا فلا يقدم الدنيا على الآخرة بل يقدم الآخرة ويترك المحرم، وإذا وجبت عليه الزكاة فلا يبخل بالمال ويقدم الدنيا على الآخرة بل يقدم الزكاة ويخرج المال، وما بقي فليتمتع به فيما أباح الله عز وجل، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]، فالإنسان في هذه الدنيا له أن يأكل ويشرب ويتمتع بما أباح الله عز وجل ويلبس أحسن الثياب ويركب أحسن المراكب ونحو ذلك، هذا حسن، ولذلك لما قال الرجل: يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسن ونعله حسنة، قال: «إن الله جميلٌ يحب الجمال»، وجاء أن الله يحب إذا أنعم على عبد أن يرى نعمته عليه، فالإنسان كونه يلبس الثياب الحسنة ويركب المراكب الحسنة ويسكن البيوت الطيبة فهذا حسن، ولكن يجعل هذه الدنيا دار ممر ويكون في قلبه النظر إلى

الآخرة وطلب الآخرة، ولا يطلب الدنيا، وإذا وردت عليه المعاصي والذنوب فليتركها خوفًا من الله عز وجل، ويريد ما عند الله سبحانه وتعالى.

قال رحمه الله:

لقد جاء في آي الحديد ويونسٍ ... وفي الكهف إيضاحٌ بضرب مثالها

وفي آل عمران وسورة فاطر ... وفي غافرٍ قد جاء تبيان حالها

وفي سورة الأحقاف أعظم واعظٍ ... وكم من حديثٍ موجبٍ لاعتزالها

(الشرح)

ذكر المؤلف رحمه الله في هذه الأبيات أن حال الدنيا قد وصفها الله سبحانه وتعالى في كتابه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم حال الدنيا أيضًا.

قال: (لقد جاء في آي الحديد)؛ يعني أنه أتى آية في سورة الحديد تصف حال الدنيا وهي قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، فهذه الآية الكريمة فيها وصف هذه الدنيا وحال الناس فيها، قال: اعلموا يعني أيقنوا، (أنما) وأنما أداة حصر. تدل على حصر. الحكم في المذكور ونفيه عن ما سواه، (الحياة الدنيا) يعني التي تعيشونها، (لعبٌ) واللعب هو ما لا يعود على الإنسان بفائدة، (ولهو) واللهو هو ما يلهي القلب ويشغله، (وزينة) والزينة ما يتزين به في هذه الدنيا من مناظر ومآكل ومشارب ومساكن ونحو ذلك، (وتفاخر بينكم)، والتفاخر هو أن يفخر الإنسان على الآخر، بجاهه أو ماله أو نسبه فيكون من هذا فخر والآخر منه فخر، فيتفاخرون أيهم أحسن ، (وتكاثر)؛ والتكاثر هو أن يحب الإنسان أن يكون أكثر من غيره في الأموال والأولاد، يعني يحب أن يكون أكثر مال من غيره وأيضًا أولاد، فيحب أن يكون

أولاده أكثر من غيره، فهذا حال الدنيا أنها لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثرٌ في الأموال والأولاد، فتجد من الناس من هذا همه وهذه طريقته في هذه الدنيا. ثم قال سبحانه وتعالى: (كمثل) يعني هذا المثال الماضي كمثل غيبٍ أعجب الكفار والكفار هنا هم الزراع، لأنهم يكفرون الزرع يعني يدفنونه في الأرض، يعني الزراع إذا رأوا النبات الحسن فرحوا به وأعجبهم، ثم يهيج يعني هذه الخضرة وهذه الزروع وهذا الربيع يهيج والهيجان هو التغير، فتراه مصفرًا يعني يصبح بعد الخضرة أصفر قد اصفر، ثم بعد الاصفرار يتهشم، ثم تهب به الريح فيذهب؛ وهكذا الدنيا يجمع الإنسان المال ويفاخر غيره ويكثر من الأموال ثم يموت ويترك هذا كله، هكذا الدنيا.

ثم قال تعالى: (وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ) يعني عذابٌ شديد لمن كفر بالله سبحانه وتعالى، ومغفرة للمؤمنين ورضا من الله سبحانه وتعالى، (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)، وما هذه الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، والمتاع هو الذي يتمتع به الإنسان مدة من الزمن ثم يذهب كالقدر والفأس ونحو ذلك، فالإنسان يتمتع به مدة من الزمن ثم يتركه لأنه قد بلي، هكذا الحياة الدنيا، والغرور هو ما يغر الإنسان، فذُكر في هذه الآية الكريمة حال الدنيا.

ثم قال المؤلف: (ويونسٍ)؛ أيضًا ذُكر حال الدنيا في سورة يونس كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]؛ وفي هذه الآية الكريمة وصفٌ عظيم لحال الدنيا، قال سبحانه وتعالى: (إنما مثل الحياة الدنيا) يعني شبه الدنيا (كماءٍ أنزلناه من السماء)، يعني هذه الدنيا مثل الماء الذي أُنزل من السماء، (فاختلط به نبات الأرض)؛ أي أن هذا الماء لما نزل اخضرت الأرض فالتفت الخضرة بعضها على بعض، (مما يأكل الناس والأنعام)، يعني ما

يأكله الناس كالبر والأرز ونحو ذلك، وكذلك ما يأكله الأنعام كالعشب وغيره، فاختلط هذا بهذا، حتى أصبحت الأرض خضراء، (إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ)؛ الزخرف هو ما يسر الناظر بزخرفته، إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا يعني اخضرت واختلط الأحمر مع الأصفر مع الأبيض مع غير ذلك من الزهور والأعشاب وتزينت الأرض بهذه الأعشاب، وأصبح الإنسان يريد أن ينظر إليها فقط، (وظن أهلها) يعني أهل الأرض (أنهم قادرون عليها)؛ ظنوا أنها ستبقى وأن هذه الأرض لن تذهب وسيبقى هذا لهم دائمًا، حتى أتاها أمر الله سبحانه تعالى إما صواعق وإما رياح أو أعاصير، ليلًا وهم نائمون أو نهارًا وهم ينظرون، (فجعلناها حصيدًا) والحصيد هو ما يُحصد من الزرع ويؤخذ ولا يبقى منه شيء، (فجعلناها كأن لم تغن بالأمس) يعني بعد الخضرة وبعد التفاف الأعشاب بعضها على بعض أتاها هذا الأمر فاحترقت فأصبحت كأن الأرض لم يكن عليها خضرة قبل ذلك، (كذلك نفصل الآيات) يعني نبين الآيات لعل الناس يتذكروا ويعرفوا أن هذه حال الدنيا.

فهذه الآية الكريمة فيها وصف الدنيا أن الإنسان يجمع المال ثم يجمع الجاه ثم يجمع الولد ثم يذهب هذا كأن لم يكن.

ثم قال المؤلف: (وفي الكهف)؛ أيضًا في الكهف وصف الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، وهذه الآية كما مضى، قال الله سبحانه وتعالى: اضرب لهم أي مثِّل لهم، هذه الحياة الدنيا كالماء الذي نزل من السماء فاخضرت الأرض، ثم يبس هذا العشب، (تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ) يعني تهب عليه الرياح وتأخذه، هكذا الحياة الدنيا تخضر وتزدهر للإنسان ثم تذهب كأن لم تكن.

ثم قال: (إيضاحٌ بضرب مثالها)؛ يعني مثال الحياة الدنيا.

ثم قال: (**وفي آل عمران وسورة فاطر، وفي غافرٍ قد جاء تبيان حالها**)، أيضًا في هذه السور جاءت آيات تبين حالة هذه الحياة الدنيا، قال سبحانه وتعالى في آل عمران: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]؛ يعني هذه الحياة الدنيا يتمتع الإنسان فيها مدة من الزمن ثم يذهب ولا يبقى فيها فهي غرور، والغرور هو ما يكون ظاهره غير باطنه فيُرى من الخارج أنه حسن ومن الداخل غير ذلك.

وفي آية فاطر قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥]، إن وعد الله حق بقيام الساعة وذهاب الدنيا وما أخبر الله به حق، فلا تغرنكم يعني لا تكون الدنيا سبب في غروركم، ولا يغرنكم بالله الغرور وهو الشيطان فيقول لكم: لا حساب، لا بعث، لا موت، لا جنة، فيصبح الإنسان يريد الدنيا ولا يسعى إلى الآخرة.

وفي آية غافر قال: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]، هذا حال الرجل الذي نصح قومه، فقال لهم: يا قومي إنما هذه الحياة الدنيا متاع أي أن الإنسان يتمتع بها وتذهب، والمتاع مثل القدر أو الإبريق يأخذه الإنسان ويشرب منه الشاي والقهوة ونحو ذلك ثم يبيد وينتهي، وهكذا الحياة الدنيا لا تبقى، وإن الآخرة هي دار القرار، والقرار هو الذي يقر فيه الإنسان ولا يذهب عنه، هذه الآخرة.

وفي سورة الأحقاف أعظم واعظٍ يعني يتعظ به الإنسان، قال سبحانه وتعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]؛ يعني هذا من أعظم الزواجر وذلك أن الإنسان إذا رأى الآخرة كأنه ما عاش في الدنيا إلا ساعة، فراح الوقت الذي عاشه في الدنيا كأنه ساعة، ففيه زجر.

ثم قال المؤلف: (وكم من حديث موجب لاعتزالها)؛ أي أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حذر أمته عليه الصلاة والسلام وقال: لا تغرنكم الحياة الدنيا، وأنه أمر بأخذ الحيطة والحذر من هذه الحياة، ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كما جاء في صحيح مسلم

من حديث أبي سعيد قال: «اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»، وقال عليه الصلاة والسلام: «والله ما أخاف عليكم الفقر ولكن أخاف عليكم أن تُفتح عليكم الدنيا فتتنافسوا فيها فتهلككم كما أهلكت من كان قبلكم»؛ فحذر النبي صلى الله عليه وسلم أن يركن الإنسان للدنيا وتكون همه.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

قال رحمه الله:

لقد نظروا قومٌ بعين بصيرةٍ إليها فلم تغررهم باختيالها

(الشرح)

قال الناظم رحمه الله: (لقد نظروا قومٌ بعين بصيرةٍ) يعني بعين علم وتبصر، والعين هنا عين العلم، قال: لقد نظر جماعة بعين علم ونظر في الأمور وتبصر إلى الدنيا، (فلم تغررهم) فلم تغرهم بزينتها وزخرفها ونحو ذلك، (باختيالها)، والاختيال هو الأخذ على غفلة، أي أن الدنيا لم تأخذهم بل إنهم عرفوا حال هذه الدنيا، وذلك يدل على أن عندهم عقل الرشد، والعقل ينقسم إلى قسمين:

الأول: عقل رشد، وهو الذي يدل الإنسان على الخير، ويكون سبب في انتهائه عن الشر، وهذا خاص بالمؤمنين وخاص بمن اتقى الله سبحانه وتعالى.

الثاني: عقل إدراك بمعنى أن الإنسان يدرك أن هذا نافع أو هذا ضار، ويعرف الأمور، فهذا قد يكون للكافر ولكنه لا يفيده، فالكافر يدرك أن الكفر سبب في دخول النار ولكنه يقع في الكفر، فهذا الإدراك لا يفيده، ولذلك الله سبحانه وتعالى مدح أصحاب العقول الذين عندهم رشد فتدلهم عقولهم على الخير وتنهاهم عن الشر، كما قال سبحانه وتعالى عنهم أنهم أولو الألباب يعني أصحاب العقول وأصحاب التبصر، فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١]؛ يعني أصحاب العقول، فالعقل المراد أن يكون

سبب في نهي الإنسان عن الشر أن يؤدي الطاعات. يعني أن هؤلاء عرفوا حال الدنيا أنها دار رحيل ودار زخرف وأن الأمور فيها لا تبقى، بل هي أيام وليالي وتذهب كأن لم تكن.

قال رحمه الله:

أولئك هم أهل الله حقًا وحزبه لهم جنة الفردوس إرثًا ويا لها

(الشرح)

أولئك الذين عرفوا حال الدنيا ولم تغرهم الدنيا ولم تختالهم هم أهل الله أي خاصة الله سبحانه وتعالى، الذين اختصهم الله سبحانه وتعالى لطاعته، وذلك أن من الناس لله أهلون وهم الذين أطاعوا الله سبحانه تعالى وابتعدوا عن معصيته.

حقًا: يعني الشيء الثابت.

وحزبه: يعني أنهم حزب الله سبحانه وتعالى.

لهم جنات الفردوس يعني لهؤلاء جنات الفردوس، وجنات الفردوس هي أعلى الجنان، كما قال عليه الصلاة والسلام: **«إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنها أعلى الجنة وسقفها عرش الرحمن ومنها تُفجر أنهار الجنة»**، فهي أعلى الجنة وأوسط الجنة، إرثًا يعني يرثونها ويبقون فيها، ويحصلون عليها، (ويا لها) يعني جنات الفردوس.

قال رحمه الله:

ومال إليها آخرون لجهلهم فما اطمأنوا أرشقتهم نبالها

(الشرح)

أي مال آخرون إلى الدنيا لجهلهم، وغرتهم الحياة الدنيا بسبب الجهل، وذلك أن الحياة الدنيا هي مجرد أيام وليالي وتنقضي ولا تبقى، فإذا تمتع الإنسان فيها فهذه المتعة ستذهب ولن تبقى، وهذا بسبب جهل الإنسان يميل إلى الدنيا ويترك الآخرة.

(فما اطمأنوا أرشقتهم نبالها)؛ يعني لما اطمأن أولئك للحياة الدنيا ولا يريدون إلا الحياة الدنيا وهكذا حال الكفار؛ فالكافر رضي بالحياة الدنيا لأنه لا يعرف الآخرة ولا يظن أنها ستأتي، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾[يونس: ٧]، أرشقتهم يعني رمتهم بالنبال، أي أن الدنيا رمتهم بنبالها فدخلوا في الفتن والمعاصي والذنوب وولجوا في الأخطاء، لأنهم اطمأنوا لهذه الحياة ولا يريدون غيرها.

فيما تقدم يصف الناظم حال بعض الناس أنه كان همه الدنيا، وقد تقدم أن المراد ليس أن الإنسان يترك الدنيا فهذا ليس مراد، بل إن الإنسان في الدنيا في الدنيا له أن يتمتع بما أباح الله عز وجل من النساء في الزواج والمطاعم والملابس وغير ذلك، فإن هذا مباح، قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقال أصحاب الكهف: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ [الكهف: ١٩]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعم المال الصالح للعبد الصالح»، وقد كان أبو بكر رضي الله عنه من تجار الصحابة، وكان عبد الرحمن بن عوف من تجار الصحابة، وكان عثمان من تجار الصحابة بل إنه اشترى قافلة لأهل المدينة وتصدق بها عليهم، وهكذا كان السلف فكان سفيان الثوري رحمه الله ربما حجج جماعة من المسلمين بماله الخاص، فكان عندهم أموال لكن هذه الأموال لم تلههم عن الآخرة، والأولاد والأنعام في الدنيا كانت سبب في زيادة رفعتهم في الآخرة، فكانوا يشكرون الله عز وجل.

ولذلك الإنسان قد يُبتلى بالخير، قد يُعطى المال والولد والصحة فإذا شكر كان هذا سبب في رفعته عند الله سبحانه وتعالى ويزيده الله تعالى، بل إن المال قد يكون سبب في دخوله الجنة، فالمراد أن الإنسان إذا حصل على شيءٍ من الدنيا لا ينسى الآخرة، بل يقدم للآخرة ويزكي ويتصدق، ويبذل المال في وجوه الخير، ويأكل مما أباح الله عز وجل، ويتمتع بما أباح الله عز وجل له، ويرى أن الفضل لله سبحانه وتعالى عليه، فيكون هذا المال سبب في رفعته.

فمقصود المؤلف رحمه الله أن الإنسان لا يركن إلى هذه الحياة، يظن أنه لا آخرة أنه لا موت وأنه إذا مات انتهى، بل إن الموت هو بداية الحساب، هذا هو المراد.

قال رحمه الله:

فقــل للــذين اســتعذبوها رويــدكم سـينقلب السـم النقيـع زلالهـا

(الشرح)

يقول الناظم رحمه الله: قل أيها السامع لأبياتي للذين استعذبوا الدنيا، وذاقوا طعمها كما يذوق الإنسان الماء العذب، قل لهم: رويدكم يعني على مهلكم، بعد ذلك سينقلب هذا العذب (السم النقيع زلالها) يعني ستنقلب هذه العذوبة إلى سم قاتل، فهذا العذب الزلال سينقلب إلى سم قاتل، وهكذا الدنيا إذا استعذبها الإنسان وقدمها على الآخرة وعمل فيها بالمعاصي والذنوب والكفر والفسوق فإن هذه العذوبة وهذه المتع ستنقلب إلى سم، ذلك أنه يُعذب عليها، سينقلب هذا العذب وهذه اللذات إلى عذاب، والناس على حالتين:

الحالة الأولى: الكافر، فهو قد يستعذب الدنيا ويتمتع فيها، ثم إذا مات انقلب إلى العذاب الذي لا انقطاع له وهو سمٌ عليه لا ينقطع أبد الآبدين.

الحالة الثانية: أهل المعاصي الذنوب من المسلمين، فهذا قد يتمتع في الدنيا ويستلذ المعاصي ويعيش عليها حتى يموت، ثم قد يُعذب عليها إلى ما شاء الله عز وجل، فتنقلب هذه اللذات التي كانت في الدنيا عذاب في الآخرة.

وأما من صبر عن المعاصي والذنوب فإن هذه المرارة وهذا الصبر سينقلب عسل وأطعم من العسل كما قال القائل:

الصبر مثل اسمه مرٌ مذاقته *** لكن عواقبه أحلى من العسل

فالإنسان كونه يصبر عن المعاصي والذنوب في هذه الدنيا فإنه يُعوض باللذات التي لا تنقطع في الآخرة، وباللذة التي لا يمكن أن يصفها الإنسان.

قال رحمه الله:

ليلهوا ويغتروا بها ما بدا لهم متى تبلغ الحلقوم تنصرم حبالها

(الشرح)

يقول الناظم: ليلهوا في هذه الحياة الدنيا وينسوا الآخرة، ويغتروا أي لتغرهم الدنيا بها ما بدا لهم يعني ما عاشوا حتى ينقطع الأمد، متى تبلغ الروح الحلقوم تنصرم يعني تنقطع حبالها يعني تنقطع اللذات، فإذا جاء الموت انقطعت اللذات، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات»؛ أي الموت، فالإنسان قد يتمتع في الدنيا بالمعاصي كشرب الخمر والفسوق والمعاصي ثم إذا جاء الموت انقطعت هذه اللذات وانقلبت إلى حسرات.

وفي هذا البيت أن الإنسان يحذر من المعاصي ويتوب منها ولا يبقى عليها لأنها ستنقطع عنه حتمًا إما بالموت وإما بغيره.

قال رحمه الله:

يوم تُوفى كل نفسٍ بكسبها تودُّ فداءً لو ببنيها ومالها

(الشرح)

يعني في الآخرة تُوفي كل نفس ما كسبت، فالله سبحانه وتعالى جعل هذه الدنيا دار عمل، وهذا هو الأصل، والآخرة دار جزاء، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]،

ولذلك قال: (يوم تُوفى كل نفسٍ بكسبها) يعني في الآخرة، فالإنسان يُوفى ويُعطى وافيًا ما كسب في الدنيا.

وفي قوله: (كسبها) أي أن الإنسان كسب هذا العمل بنفسه، ما أحد وضع العمل عليه، فالذي يفعل المعاصي ويذنب هو يكسب المعصية بنفسه، ما أحد وضع المعصية عليه، فيُوفى ما كسبت يداه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[الحج: ١٠].

تود: يعني تحب، والود هو خالص المحبة، (تود فداءً) يعني تفتدي من هذا العذاب، لو ببنيها ومالها؛ يعني لو أنه أعطى أبناءه ليخلص من هذا العذاب لكان هذا حسن عنده، فلو خُيِّر بين أبنائه وبين العذاب بمعنى أنه إذا دفع أبناءه فداء لهذا العذاب وخرج منه لفعل ذلك واستحسنه، (ومالها) أيضًا لو أنه دفع جميع ما يملك من الأموال ليخلص من هذا العذاب لدفع، بل إن الإنسان لو خُير بين عشيرته يعني قبيلته وأهله وبين العذاب لاختار أن تُعذب قبيلته فيخرج هو من هذا العذاب، بل لو خُير بين نفسه وبين أهل الأرض جميعًا لاختار نفسه، كما قال تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ *﴾[المعارج: ١١- ١٤]؛ يعني لو أنه نجا بخلاصه من هذا العذاب بأهل الأرض جميعًا لكان هذا حسن عنده.

قال رحمه الله:

وتأخـــذ إمـــا بـــاليمين كتابهـــا إذا أحســـنت أو ضـــد ذا بشـــمالها

(الشرح)

(وتأخذ إما باليمين كتابها) يعني أنه إذا كان من أهل الصلاة وأهل التقى وأهل الإيمان فإنه يأخذ كتابه بيمينه، فيفرح فرحًا عظيمًا، ويخرج في وسط الناس ويقول: انظروا إلى كتابي، ويظن أن الناس لا يهتمون إلا له، كما وصف الله سبحانه وتعالى حال المتقي قال:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ *﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٣]، فهو يخرج في الموقف ويكون بين الناس ويقول: انظروا إلى كتابي، انظروا إلى حسناتي وطاعاتي، ويظن أن الناس لا يهمهم إلا حاله.

قال: (وتأخذ إما باليمين كتابها إذا أحسنت)؛ يعني إذا أحسنت في هذه الدنيا، لأن الجزاء من جنس العمل، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

قال: (أو ضد ذا بشمالها) يعني الضد وهو الذي يأخذ كتاب أعماله بشماله بسبب كفره ومعاصيه في الدنيا، كما قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ *﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٧]؛ يعني يا ليتها كانت في الدنيا هي الموتة التي لا بعث بعدها، ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨ - ٢٩]؛ يعني أن المال الذي عندي لا يغني عني الآن شيء، وهلك عني سلطانيه يعني الحشود الذين كانوا يتحشدون عنده في الدنيا ذهبوا الآن ولم يبقَ إلا هو بعمله وضعفه.

قال: (أو ضد) يعني من فعل الكفر والفسوق والعصيان، فهو ضد من أحسن، (ذا بشمالها) أي أنه يأخذ صحيفة سيئاته بشماله، فإذا أخذها فإنه يحزن حزنًا عظيمًا يود أنه ما بُعث وأنه صار ترابًا.

قال رحمه الله:

فإن تك من أهل السعادة والتقى فإن لها الحسنى بحسن فعالها

(الشرح)

ذكر الناظم رحمه الله في هذا البيت حال السعداء في الآخرة.

قال: **فإن تكُ** يعني: هذه النفس، **من أهل السعادة** يعني الذين كتب اللّٰهم لهم السعادة، (والتقى)؛ يعني أهل التقوى، والتقوى هي فعل الأوامر وترك النواهي اتقاءً لعذاب الله سبحانه وتعالى.

قال: **فإن لها الحسنى** يعني فإنها تُجازى بالحسنى والحسنى هي الجنة، (بحسن فعالها) يعني بسبب أفعالها الحسنة.

وهذا فيه أن العمل سبب في دخول الجنة، فذكر الناظم رحمه الله في هذا البيت حال السعداء في الآخرة، والسعادة هي الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، وهي السعادة التي لا مثيل لها في الآخرة، فمن فاز بالجنة فقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وقد جاء في الحديث أن الرجل إذا أُعطي كتابه بيمينه قيل: "**سعِد فلان ابن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا**"، فيجد السعادة التي لا شقاء بعدها، فأهل السعادة هذا حالهم.

قال: فإن لها الحسنى بحسن فعالها؛ أي أنه بسبب أفعاله الحسنة في الدنيا يُجازى بالجنة في الآخرة، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]؛ فالعمل سبب في دخول الإنسان الجنة، فلا بد أن يعمل الإنسان بطاعة الله وينتهي عن معصية الله، إذا أراد الجنة فإن الجنة لها مقابل وهو طاعة الله سبحانه وتعالى وهو السبب في ذلك، وإن كانت لا تُنال إلا برحمة الله سبحانه وتعالى، والعمل هو سبب ذلك.

قال رحمه الله:

تفوزُ بجنات النعيم وحورها وتُحبر في روضاتها وظلالها

(الشرح)

قال: (**تفوز بجنات النعيم وحورها**)؛ أي أن هذه النفس التي كانت من أهل التقى وكُتب لها السعادة تفوز بجنات النعيم، وجنات جمع جنة؛ وذلك أن الجنة جنات وليست بجنة واحدة، فأعلاها وأوسطها الفردوس كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلاها**»، والجنات الأخرى كجنة النعيم وجنة عدن فهي جنات.

تفوز بجنات النعيم أي أن الإنسان الذي يدخلها ينعم ولا يبأس أبدًا، وقد جاء في الحديث أن المؤمنين إذا دخلوا الجنة يقال لهم: «**إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وأن تسعدوا فلا تشقوا أبدًا، وأن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وأن تحيوا ولا تموتوا أبدًا**»، فالجنة هي دار النعيم.

قال: وحورها؛ أي يفوز بالحور العين، والحور هي نساء أهل الجنة، ولكل مؤمنٍ زوجتان من الحور العين يُرى مخ سوقها من وراء اللحم من شدة الجمال، فالحور جمع حوراء وهي المرأة التي اسودت عينها وعظمت وعظم البياض الذي فيها، فالحور العين لهن جمالٌ عظيم، ولذلك قال بعض المفسرين أن قوله تعالى: ﴿حُور﴾ يعني يحار فيها الطرف، إذا نظر إليها الإنسان لا يمكن أن يصفها من شدة جمالها، وهذه الحوراء لها جمالٌ عظيم فقد جاء في الحديث لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت على الدنيا لأضاءت ما بين المشرق والمغرب، ولملأت الأرض ريحًا بطيبها، ولنصيفها –يعني خمار رأسها– خيرٌ من الدنيا وما فيها، وهن مطهرات من الأذى الحسي والأذى المعنوي؛ الأذى الحسي كالغائط والحيض والبول والمخاط والنفاس، فلا تجد الحوراء هذا الشيء، وأيضًا مطهرات من الأذى المعنوي كأذى الزوج بالكلام أو الحسد أو الغيرة في قلبها أو غير ذلك مما يؤذي الرجل لا يوجد فيها، فهي مطهرة من الأذى الحسي والأذى المعنوي.

قال: (**وتُحبر في روضاتها وظلالها**)؛ الحبور هو النعيم، يعني تنعم، في روضاتها يعني روضات الجنات، والجنة روضات وقد جاء في الحديث أن تربة الجنة الزعفران والمسك، فتربة الجنة من أحسن ما يكون، وينعم المؤمن في روضاتها وظلال الأشجار فيها، والجنة

فيها أشجار، وقد جاء أن الجنة فيها أشجار وأن سوق هذه الأشجار من ذهب، وقد جاء في الحديث أن شجرة طوبى لو سار فيها الراكب مائة عام ما قطع الظل فيها، مع أن الجنة لا شمس فيها وأيضًا لا ليل فيها فهي كالفجر في الدنيا، يعني أقرب إلى الفجر في الدنيا، ومع ذلك يتظللون، نعيم على نعيم!

قال رحمه الله:

وتُــرزق مــا تشــتهي مــن نعيمهــا وتشــربُ مــن تســنيمها وزلالهــا

(الشرح)

والإنسان إذا دخل الجنة لا يشتهي شيء بعينه ولا بقلبه ولا بنفسه إلا وجده أمامه، فكل ما تشتهي الأنفس يجده الإنسان في الجنة، وتُرزق أي أنهم يُرزقون في الجنة، كما جاء: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[مريم: ٦٢].

قال: وتُرزق مما تشتهي –يعني تميل له النفس– من نعيمها، يعني النعيم الذي لا يمكن أن يوصف.

قال: **وتشربُ من تسنيمها وزلالها**؛ التسنيم هي عين في الجنة يشرب منها المتقون، وزلالها يعني هذه عيون في الجنة.

قال الناظم رحمه الله:

وإن لهــم يــوم المزيــد لموعــدًا زيــادة زلفــى غــيرُهم لا ينالهــا

(الشرح)

ذكر الناظم رحمه الله في هذا البيت ما للمؤمنين في الآخرة وهو المزيد وهو رؤية الله سبحانه وتعالى.

قال: **وإن لهم يوم المزيد لموعدًا**؛ يوم المزيد يعني يوم الزيادة، والزيادة هنا يعني زيادة على الجنة وهو رؤية الله سبحانه وتعالى، لموعدًا أي أن الله سبحانه وتعالى وعدهم هذا الموعد لينجزهم إياه.

قال: **زيادة زلفى**؛ أي أنها زيادة على الجنة، **غيرهم لا ينالها** يعني: الكفار والمشركين لا ينالون هذه الرؤية وهم غير المؤمنين، فذكر الناظم رحمه الله الرؤية في الآخرة، والله سبحانه وتعالى يراه المؤمنون في الآخرة، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم تفسير الزيادة برؤية الله سبحانه وتعالى، وجاء عن الصحابة كأبي بكر وعبادة وحذيفة وغيرهم أنهم فسروا الزيادة برؤية الله سبحانه وتعالى.

قوله: **يوم المزيد لموعدًا** أي أن الله سبحانه وتعالى وعدهم أن ينجزهم هذا الموعد، وقد جاء في صحيح مسلم من حديث صهيب الرومي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله عز وجل لهم: ألا تريدون شيئًا أزيدكم؟ قالوا: يا ربنا، ألم تبيض وجوهنا، ألم تنجنا من النار وتدخلنا الجنة؟ قال: فيكشف الحجاب فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من رؤية الله سبحانه وتعالى، ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ».

قال: **زيادةٌ زلفى**؛ يعني أنها تقريب من الله سبحانه وتعالى وزيادة في نعيمهم، والمؤمنون إذا رأوا الله سبحانه وتعالى زادوا نعيمًا على نعيمهم، قال: غيرهم لا ينالها؛ يعني الكفار والمشركون لا ينالون هذه الرؤية كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فالكفار والمشركون لا يرون الله سبحانه وتعالى.

قال الناظم رحمه الله:

وجـــوهٌ إلى وجـــه الإله نـــواظرٌ لقد طال ما بالدمع كان ابتلالها

(الشرح)

وجوهٌ يعني وجوه المؤمنين، إلى وجه الله سبحانه وتعالى نواظرٌ يعني ينظرون بأعينهم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣]؛ ناضرة أي حسنة جميلة بهية إلى ربها وخالقها ناظرة أي تنظر بأعينها، فيبصرون الله سبحانه وتعالى.

قال: **لقد طال ما بالدمع كان ابتلالها**؛ يعني لقد طال في الدنيا شوق المؤمن لربه سبحانه وتعالى، والمؤمن يشتاق إلى الله سبحانه وتعالى، وكلما زاد إيمان العبد وعلمه بالله سبحانه وتعالى زاد شوقه إلى الله ولقاء الله سبحانه وتعالى، وكما قال عليه الصلاة والسلام: "**وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم**"؛ فالمؤمن يشتاق إلى لقاء الله سبحانه وتعالى، ويبكي لهذا الشوق وينتظر أن يزول عنه هذا الابتلاء وهو الابتلاء بالدنيا أن الله سبحانه احتجب عنه.

قال الناظم رحمه الله:

تجلى لها الرب الرحيم مسلِّمًا فيزدادُ من ذاك التجلي جمالها

(الشرح)

تجلى يعني ظهر وبان لهم الرب الرحيم أي الله سبحانه وتعالى الذي هو رب كل شيءٍ ومليكه، يتجلى لهم يعني يظهر لهم سبحانه وتعالى مسلمًا يعني يسلم عليهم، فيقول: سلامٌ عليكم يا أهل الجنة، فيسلم الله سبحانه وتعالى عليهم، مسلمًا وهو الرب الرحيم لأنهم دخلوا الجنة برحمته سبحانه وتعالى فهو رحمهم وأدخلهم الجنة ونجاهم من النار.

قال: **فيزداد من ذاك التجلي جمالها**؛ يعني إذا تجلى اللّٰهم لهم زادوا جمالًا على جمال، فأهل الجنة في غاية الحسن، فإذا رأوا الله سبحانه وتعالى زاد جمالهم أكثر، والإنسان إذا تجلى الله سبحانه وتعالى له زاد جماله على الجمال، وفي الدنيا إذا أكثر من ذكر الله سبحانه وتعالى والتعلق به فإنه يصبح في وجهه نضرة وجمال وحسن وبهاء؛ وهكذا في الآخرة إذا رأى الله سبحانه وتعالى فإنه يزداد جمالًا على جمال.

قال الناظم رحمه الله:

بمقعد صدقٍ حبذا الجارُ ربهم ودار الخلد لم يخافوا زوالها

(الشرح)

بمقعد صدق يعني: بالجنة، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾ [القمر: ٥٤- ٥٥]، يعني مقعد حق وهو ثابت، حبذا يعني: ما

أحب هذا المكان، (حبذا الجار ربهم) يعني الله سبحانه وتعالى جارهم في الجنة وأنهم قريبون منه سبحانه تعالى.

قال: (ودار الخلد لم يخافوا زوالها)؛ دار الخلد يعني البقاء الأبدي الذي لا انقطاع له، لم يخافوا يعني لا يخافون الخروج منها، زوالها: يعني أن الجنة لا تزول فهم فيها إلى ما لا نهاية، في نعيمٍ إلى ما لا نهاية، بل إنهم كلما مر عليهم وقت زادوا في النعيم وفي اللذات ولا يخافون أن يخرجوا منها، لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] يعني غير مقطوع فهم لا ينقطعون من هذا النعيم.

قال الناظم رحمه الله:

فواكهها مما تلذُّ عيونهم وتطَّرد الأنهارُ بين خلالها

(الشرح)

ما زال الناظم رحمه الله يصف حال الجنة وما فيها من النعيم.

قال: فواكهها؛ الفواكه هو ما يتفكه به الإنسان ويتلذذ به، **فواكهها مما تلذُّ عيونهم** يعني: أن هذه الفواكه مما تلذ العين، وفواكه الجنة لا يمكن أن توصف فهي لا يمكن أن تراها العين ولا سمعت بها الأذن ولا خطرت على قلب بشر، فهي وإن كانت في أسمائها كمسميات الدنيا ولكن الحقيقة تخالف ذلك؛ فالجنة فيها رطب ولكن الرطب الذي في الجنة في حقيقته يخالف الذي في الدنيا، فطعمه لا يمكن أن يوصف ومنظره لا يمكن أن يوصف. وأيضًا فيها العنب وغير ذلك من الفواكه ولكن هذا في المسمى، كما قال ابن عباس رضي الله عنه: **"إنه ليس في الجنة مما في الدنيا إلا المسميات"**، أما الطعم والحقيقة هذا خلاف ما في الدنيا.

والآيات والأحاديث في فواكه الجنة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المرسلات: ٤٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥] أي أنه يتشابه في اللون ويختلف في الطعم؛ فاللون والشكل واحد ولكن الطعم واللذة تختلف، وقد جاء في الأثر أن الرجل في الجنة يذهب إلى الثمرة فيأكلها فيجد الطعم اللذيذ ثم يأتي مرةً أخرى

فيجد أنها هي هي ثم يأكلها فإذا الطعم يختلف، فيأتي الثالثة ينتظر هذا الطعم، فهو يتلذذ في كل مرة.

قال: (وتطَّرد الأنهارُ بين خلالها)؛ أيضًا الجنة فيها أنهار، وأنهار الجنة أربعة: نهر الماء ونهر اللبن ونهر الخمر ونهر العسل، فهي أربعة أنهار تجري، وقد قال ابن القيم عنه: (**تجري في غير أخدودٍ *** سبحان من أمسكها عن الفيضانِ**)، فهي ليست لها أخدود كأنهار الدنيا، فماء من ألذ ما يكون، وهو مسماه في الدنيا ماء ولكن في الحقيقة يختلف والطعم يختلف، وهكذا كل ما في الجنة، وأيضًا اللبن فهو لبن لم يتغير طعمه، والخمر خمر لذة للشاربين فيه لذة وفيه طرب لا توصف، وخمر الجنة فيه لذة وفيه طرب فالإنسان إذا شرب منه طرِب وأحس باللذة وأحس بالطعم اللذيذ لكنه لا يذهب عقله كخمر الدنيا، وأيضًا لا يصاب بمرض كما هو الحال في خمر الدنيا.

تطرد الأنهار: يعني تجري وتسير، بين خلالها: يعني بين البيوت والغرف ونحو ذلك، فتجري من تحت غرفهم الأنهار.

قال سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آَسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]؛ ماء غير آسن: ما تغير طعمه ولا ريحه ولا لونه. ففي الجنة أربعة أنهار: الماء واللبن والخمر والعسل، وهذه الأنهار تجري ويشرب منها المؤمن ويتلذذ بها.

قال الناظم رحمه الله:

عـلى سررٍ موضـونة ثَـمَّ فرشـهم كـما قـال فيـه ربنـا واصـفًا لهـا

(الشرح)

سرر: جمع سرير، والأسرة يعني المرتفعة.

موضونة: يعني أنها مطرزة ومحسنة، وأيضًا مصفوفة إلى بعضها البعض ليتحدثوا ويتلذذوا بالبقاء عند بعضهم.

ثم فرشهم: يعني أنهم تُفرش لهم وتوضع ليجلسوا عليها.

قال: (كما قال فيه ربنا واصفًا لها)؛ وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الفرش، قال: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة: ١٥]، وفي الآية الأخرى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: ٢٠]، فهم يجلسون على هذه السرر ويتحدثون ويتلذذون بهذه المجالس التي لا يمكن أن يصفها الإنسان، فيجلسون ويتقابلون ويتحدثون، حتى جاء أنهم يتحدثون في أمر الدنيا كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]؛ فيقول بعضهم لبعض: إن الله سبحانه وتعالى أدخلنا الجنة برحمته.

قال الناظم رحمه الله:

بطائنها إستبرقٌ، كيف ظنكم ظواهرها! لا منتهى لجمالها

(الشرح)

البطائن: يعني ما يلي الأرض.

الإستبرق: ما غلظ من الديباج، وهذا الباطن فكيف بالظاهر؟ فالعادة أن ما يُجعل إلى الظاهر أحسن، فإذا كان الباطن من حرير ومن أحسن أصناف الحرير فكيف بالظاهر كما قال بعض السلف.

كيف ظنكم: يعني ما تظن ظواهرها، يعني إذا كان الباطن من أحسن أنواع الحرير فما ظنك بالظاهر الذي يجلس عليه المؤمن! لا منتهى لجمالها أي أن الجنة لا منتهى لجمالها، والجنة كما وصفها الله سبحانه وتعالى ووصفها الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] وجاءت (نفس) هنا نكرة فيشمل أي نفس، فلا يمكن أن تعلم النفس المخلوقة ما في الجنة من لذات، وجاء في الصحيح من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن في الجنة ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر**»؛ ما لا عين رأت يعني ما رأت العين مثل هذا الجمال، ولا أذن سمعت يعني ما حُدث الإنسان بمثل هذا الجمال، ولا

خطر على قلب بشر يعني ما يمكن أن يتخيل الإنسان هذا النعيم، فالإنسان الآن لو بقي في مكان وتحدث بأحسن أنواع النعيم لا يمكن أن يصل إلى نعيم أهل الجنة.

قال الناظم رحمه الله:

وإن تكن الأخرى فويلٌ وحسرةٌ ... ونار جحيمٍ ما أشد نكالها!

(الشرح)

لما ذكر الناظم رحمه الله نعيم الجنة أردف بذكر حال أهل النار وشقاوتهم.

قال: وإن تكن الأخرى؛ يعني النار، فويلٌ وحسرةٌ؛ الويل: كلمة عذاب، وقيل أنه وادٍ في جهنم، والحسرة: هي الندامة التي تكون في القلب، فيكون في قلبه حسرة وويل، فيكون عليه الويل وهو العذاب ويكون في قلبه حسرة؛ وذلك أن أهل النار يتعذبون من الظاهر والباطن؛ فالظاهر يتعذبون بأنواع العذاب البدني، وأيضًا في قلوبهم فهم يجدون الحسرة العظيمة.

قال: ونار جحيمٍ ما أشد نكالها؛ يعني يدخلون النار التي قال الله تعالى فيها: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، ما أشد نكالها يعني ما أشد عذابها، وما أبعد قعرها! فالنار شديدٌ عذابها، بل إن هذه النار عظيمة جدًا وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم، قالوا: يا رسول الله وإن كانت لكافية، قال: إنها فُضلت عليها بتسعٍ وستين جزءًا**». فأقوى ما يوجد في الدنيا من نيران كالبراكين فهذا جزء من سبعين جزء من نار جهنم، ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: **إن النار التي في الدنيا ضُربت في البحر مرتين ولو لا ذلك ما انتفع بها الناس**. فهذه النار التي في الآخرة هي أشد منها بتسعٍ وستين جزء، وهذا يدل على شدة حرها وعظيم نكالها.

قال الناظم رحمه الله:

لهم تحتهم منها مهادٌ وفوقهم ... غواشٍ، ومن يحمومٍ ساء ظلالها

(الشرح)

لهم تحتهم: يعني أن النار تأتيهم من تحتهم.

مهاد: مثل الفراش، فهم يُفرش لهم من النار.

ومن فوقهم: يعني من أعلى منهم.

غواش: يغشاهم أو يغطيهم، فالنار تأتيهم من تحتهم ومن فوقهم.

يحموم: الماء الحار الذي انتهى حره.

ساء ظلالها: يعني بئس الظلال التي يستظلون بها وهي النار، فالنار تأتيهم من فوقهم ومن تحتهم، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]، فهم يُمهد لهم من النار وتغطيهم النار من فوقهم.

قال الناظم رحمه الله:

طعامهم الغسلينُ فيها، وإن سُقوا حميمًا به الأمعاء كان انحلالها

(الشرح)

الغسلين: هو عصارة أهل النار وما يسيل منهم من عرق وقيح.

الحميم: الماء الحار، كما قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، فإذا شربوا هذا الماء الحار خرجت أمعاؤهم من أدبارهم، تخرج من شدة حرارة هذا الماء، قال: حميمًا به الأمعاء كان انحلالها؛ يعني تحللت الأمعاء التي في البطن وخرجت مع دبره من شدة حر هذا الماء فهو يقطع الأمعاء التي في البطن.

قال الناظم رحمه الله:

أمانيهم فيها الهلاكُ، وما لهم خروجٌ ولا موتٌ، كما لا فناء لها

(الشرح)

قال: أمانيهم؛ الأمنية هي ما يتمناه الإنسان، فغاية منى أهل النار أن يموتوا، فهي أعظم ما عندهم كما قال سبحانه وتعالى حكايةً عنهم: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، جاء في الأثر أنهم ينادون مالكًا ألف سنة أو ألفين سنة ولا يرد عليهم، ثم بعد ذلك يقول: إنكم ماكثون يعني باقون في العذاب، ثم يلجؤون

إلى الله تعالى فينادون الله ويسألونه فيبقيهم ما شاء ثم يقول لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فهم يبقون فيها.

قال: أمانيهم فيها الهلاك يعني الموت، وما لهم: يعني ما لهم من هذا العذاب خروجٌ؛ يعني لا يمكن أن يخرجوا من هذا العذاب، ولا موت يعني لا يموتون، فهم لا يتلذذون بالحياة ولا يرتاحون بالموت فهم في العذاب السرمدي إلى يوم القيامة.

قال: كما لا فناء لها؛ يعني أن هذه النار باقية كما قال سبحانه وتعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، فيبقون فيها إلى ما لا نهاية كما قال سبحانه: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، وقد جاء في ثلاثة موضع في كتاب الله عز وجل خلود أهل النار، فهم خالدين فيها إلى ما لا نهاية.

قال الناظم رحمه الله:

محلين قل للنفس ليس سواهما لتكسب أو فلتكتسبْ ما بدا لها

(الشرح)

يعني يا صاحبي قل للنفس: ليس سوى الجنة والنار، الدار الآخرة ليس فيها إلا جنة ونار، لا دار ثالثة، فالناس إما إلى الجنة برحمة الله تعالى وفضله وإما إلى النار بعدل الله سبحانه وتعالى وحكمته.

قال: (**لتكسب أو فلتكتسبْ ما بدا لها**)؛ يعني أن هذه النفس لتكتسب من الأعمال وتفعل ما تشاء ما بدا لها.

قال الناظم رحمه الله:

فطوبى لنفسٍ جوَّزت وتخففت فتنجو كفافًا لا عليها ولا لها

(الشرح)

طوبى: كلمة حسن، وقيل أنها شجرة في الجنة.

طوبى لنفس تجوزت وتخففت ولم تحمِّل على نفسها ثقل المعاصي وترك الطاعات، وتخففت من الحقوق التي للناس، فتنجو كفافًا يعني تنجو في الآخرة ما يكفيها، ويسد

رمقها، لا عليها ولا لها يعني لا تُحاسب ولا لأحدٍ عليها شيء، فمن أعظم ما يكون في الآخرة أن ينجو الإنسان، لا له ولا عليه، لا حقوق عليه ولا يُطالب منه حقوق فينجو، ولذلك ختم الناظم رحمه الله بأن الإنسان يتخفف في هذه الدنيا ولا يحمل نفسه ما لا طاقة لها به، فليأتِ بالطاعات وليبتهِ عن المعاصي ولا يثقل على نفسه، وأيضًا يحذر من حقوق الخلق ومن الغيبة والنميمة وأكل أموال الناس وغصب الأموال وقطع الأرحام ونحو ذلك، فليتخفف من حقوق الناس؛ لأنه إذا تخفف هنا نجا بإذن الله تعالى هناك، فليتخفف، وليصبر على ما يحصل له في الدنيا من تأدية الطاعات والصبر على أذى الناس ونحو ذلك حتى ينجو هناك.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.